

أَحَقًّا قَالَ اللَّهُ؟

المحاضرة ٢: السُّلْطَةُ وَالْمَصْدَرُ

أ.ر. سي. سرول

في المُحَاضَرَةِ الْأُولَى مِنْ دِرَاسَتِنَا لِسُلْطَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، قَضَيْنَا بَعْضَ الْوَقْتِ فِي دِرَاسَةِ الْخُلْفِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ لِأَزْمَةِ السُّلْطَةِ الَّتِي تُوَاجِهُهَا فِي الْكَنِيسَةِ، وَأَيْضًا فِي الْعَالَمِ الْيَوْمِ. تَذَكَّرُونَ أَنَّنِي أَشْرْتُ إِلَى حَقِيقَةٍ أَنَّ لُوَثْرَ صَاعَ عِبَارَةٍ "سُولا سَكْرِيْبُتُورًا"، بِالْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَحْدَهُ، الَّتِي صَارَتْ أَحَدَ شِعَارَاتِ الْإِصْلَاحِ الْبُرُوتِسْتَانِيَّةِ. وَبَيْنَمَا كَانَ وَقْتُ الْمُحَاضَرَةِ الْأُولَى يَنْقُذُ، تَحَدَّثْنَا عَنْ مَعْنَى كَلِمَةِ "سُلْطَةٍ". وَعَرَفْتُ كَلِمَةَ "سُلْطَةٍ" فِي إِجْزَازِ بَأَنِّهَا "الْحَقُّ فِي فَرَضٍ وَاجِبٍ". فَمَثَلًا، نَرَى لِقَاءَ يَسُوعَ بِقَائِدِ الْمِئَةِ، الَّذِي كَانَ يَعْرِفُ جَيِّدًا مَعْنَى أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِهِمْ سُلْطَانًا، وَأَنْ يَكُونَ قَادِرًا أَنْ يَقُولَ "أَذْهَبْ" فَيَذْهَبُ النَّاسُ، إِلَى آخِرِهِ.

أَوْدُ الْآنَ أَنْ نُلَاحِظَ قَدْرًا مِنَ الْمُفَارَقَةِ الْكَامِنَةِ فِي كَلِمَةِ "سُلْطَةٍ". هُنَاكَ تَعْبِيرٌ فِي مُجْتَمَعِنَا، نُسَمِّيهِ "الْقَاعِدَةَ الذَّهَبِيَّةَ". وَالتَّعْبِيرُ الطَّرِيفُ لِلْقَاعِدَةِ الذَّهَبِيَّةِ هُوَ: "مَنْ لَدَيْهِ الذَّهَبُ يَسُودُ". وَأَذْكُرُ أَنَّ كَارْلَ مَارْكُوسَ قَالَ: "مَنْ لَدَيْهِ وَسَائِلُ الْإِنْتِاجِ يَتَحَكَّمُ فِي الْعَالَمِ". أَذْرَكْتُ ذَلِكَ قَبْلَ دِرَاسَتِي لِكِتَابَاتِ كَارْلَ مَارْكُوسَ بِوَقْتِ طَوِيلٍ، حِينَ كُنْتُ طِفْلًا، وَكُنَّا نَلْعَبُ الْكُرَةَ فِي الشَّارِعِ، فِي الْمَسَاحَاتِ الرَّمْلِيَّةِ الْمُحِيطَةِ بِبَيْتِ سُبْرُج. وَلَمْ تَسْنَحْ لَنَا فُرْصَةً أَوْ امْتِيَازًا أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا حُكَّامٌ، يُرَاقِبُونَ الْمُبَارَاةَ، وَيَحْكُمُونَ فِي نِزَاعَاتِنَا. وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، يَكُونُ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ مُقْتَنِعًا بِأَنَّهُ عَلَى حَقٍّ وَالْآخَرُ عَلَى خَطَأٍ. كُنْتُ أَقُولُ: "خُرُوجٌ"، فَيَقُولُ آخَرُ: "فِي أَمَانٍ". أَقُولُ: "خُرُوجٌ"، فَيَقُولُ: "فِي أَمَانٍ". كَانَ مِثْلَ هَذَا النِّزَاعِ يَنْشَأُ بَيْنَنَا. فَكَيْفَ أَمَكَّنَّا حَسْمَهُ؟ كُنَّا نَحْسِمُهُ بِالْقَوْلِ إِنَّ مَنْ لَدَيْهِ الْمِضْرَبُ وَالْكُرَةُ هُوَ عَلَى حَقٍّ، فَيَقُولُ: "الْكُرَةُ كَرَّتِي، وَالْمِضْرَبُ مِضْرَبِي، أَنَا فِي أَمَانٍ. وَإِنْ لَمْ أَكُنْ كَذَلِكَ، تَكُونُ الْمُبَارَاةُ قَدِ انْتَهَتْ". هَكَذَا كُنَّا نَحْسِمُ الْأَمْرَ.

نُذْرِكُ أَنْ هُنَاكَ سُلْطَةٌ مُعَيَّنَةٌ مُقْتَرَنَةٌ لَيْسَ فَقَطْ بِاسْتِخْدَامِ صَمَائِرِ الْمِلْكِيَّةِ، بَلْ أَيْضًا بِالْكِتَابَةِ أَيْضًا. إِذَنْ، مَسْأَلَةُ سُلْطَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَثَبْتَهُ الصَّلَةِ فِي النِّهَايَةِ بِمَسْأَلَةِ كِتَابَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا الْكِتَابُ؟ هَلْ يُقَدِّمُ لَنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ مَجْرَدَ مَجْمُوعَةٍ مِنْ أَفْكَارٍ أَوْ حِكْمٍ شَعْبٍ يَهُودِيٍّ بَدَائِيٍّ؟ هَلْ كُلُّ مَا لَدَيْنَا هُوَ -نَظِيرُ الظَّلَالِ فِي كَهْفِ أَفْلَاطُونٍ- آرَاءُ أَنْبِيَاءَ قَدَامَى مِثْلِ إِرْمِيَا، وَإِشْعِيَاءَ، وَحَزَقِيَالَ، وَدَانِيَالَ، وَغَيْرِهِمْ؟ أَمْ لَدَيْنَا وَثِيقَةٌ مَكْتُوبَةٌ كَتَبَهَا اللَّهُ بِنَفْسِهِ؟

عَبْرَ التَّارِيخِ، كَانَ هَذَا تَحْدِيدًا هُوَ إِفْرَارُ إِيمَانِ الْكَنِيسَةِ. وَالْمُصْطَلَحُ اللَّاتِينِيُّ الَّذِي اسْتُخْدِمَ لِلْإِفْرَارِ بِهِدَا عَبْرَ التَّارِيخِ هُوَ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ هُوَ "فُوكْسُ دَائِي" (*Vox Dei*) أَوْ "وِيرْبُومُ دَائِي" (*Verbum Dei*)، أَيْ "صَوْتُ اللَّهِ"، أَوْ التَّرْجَمَةُ

الأشهر "كلمة الله". حسنًا، هل هو كلام بشر أم كلام الله؟ هذا هو لب النزاع برمته. هذا هو اللب لكنه ليس مجمل النزاع. لأن هناك أناسًا اليوم يقولون إنهم يؤمنون بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله، لكنه ليس صحيحًا بالكامل. سنتناول هذه النظريات لاحقًا، لأنني لا أتصور أنه يمكن لشيء أن يكون كلمة الله، بينما لا يكون حقًا مطلقًا، لكن هناك من يتصورون ذلك عنه.

على أي حال، لب القضية بالنسبة إلى الغالبية هو: "ما المصدر؟" لمن هذه الكلمات في النهاية؟ لا أحد يدعي، بقدر معرفتي، أن الكتاب المقدس نزل إلى الأرض في مظلة هبطت من السماء، وفي صفحته الأولى مكتوب: "هوذا الكتاب الذي كتبتُه بإصبعي. رجاء انتبهوا جيدًا إلى كل ما فيه. مع خالص تحياتي، الله".

نعلم أن هذا الكتاب لم يكتب بيد الله، أي إنه ليس العلة المباشرة لتأليفه، أو أصله المباشر. لكن حين نقول إنه كلمة الله، نقصد ما يتجاوز ذلك، مُفَرِّين تمامًا بأن كتابته الفعلية تمت على يد بشر.

أود الآن تناول بعض نصوص الكتاب المقدس حيث كانت هويته الكاتب مسألة حيوية. حين كتب بولس إلى كنيسته رومية، في بداية الرسالة، وكعادته، عرف نفسه بأنه الكاتب، ثم وجه تحية معينة لأصدقائه مستقبلي الرسالة. ويبدأ رومية الأصحاح ١ بهذه الكلمات المألوفة: "بولس عبد يسوع المسيح المدعو رسولاً للمفزر لإنجيل الله". مجددًا، هذه تحية بسيطة جدًا، عرف فيها بولس نفسه بأنه الكاتب. لكن في هذه الآية الواحدة، أيها السيدات والسادة، هناك فرط من المعلومات الحيوية المتعلقة بسُلطة الكتاب المقدس، وكذلك بأهمية مفهوم الرسولية نفسه، الذي أرجو أن نتطرق إليه لاحقًا، إن سمح الوقت. لكن العبارة التي تسترعي انتباهي الآن هي العبارة الأخيرة. يقول بولس إنه مدعو رسولاً. وإثمه مفزر، أي مُخصَّص، لأي شيء؟ لإنجيل الله. إنجيل الله، ماذا في ذلك؟ عندما نقول إن العهد الجديد يقدم لنا إنجيل يسوع المسيح، ما الذي نفهمه من ذلك؟ يعني ذلك أن الإنجيل هو البشارة عن شخص يسوع وعمله. إذا، عندما نقول "إنجيل فلان"، ماذا نقصد عادة؟ "الإنجيل عن فلان". لكن الصياغة اللغوية لتعليق بولس في رسالة رومية لا يبيح ذلك الفهم. فالمُضَاف إليه هنا يعني الملكية. عندما نقرأ "إنجيل الله"، فأفضل ترجمة له ليست "الإنجيل عن الله"، بل "الإنجيل الخاص بالله". قال بولس: "بصفتي رسولاً، أنا مفزر لإعلان كلام الله". وبهذا، ليس هذا الإنجيل عن الله، لكنه ينتمي إلى الله، بمعنى أن الله هو مصدر الكلام.

مؤخرًا، كنت أدرس في إنجيل لوقا، والأصحاح ١، حيث يروي لوقا أحداث بشاراة الملاك جبرائيل لزكريا. فبينما كان زكريا يخدم في الهيكل، أتاه جبرائيل، وقال له إنه وزوجته المسنة أليصابات سينجبان ابناً. وسيكون هذا الولد هو المُنَادِي الرسمى للمسيح. وسيكون هو يوحنا المعمدان. وعندما أخبر جبرائيل زكريا بهذا، أصابه الدهول والصاعقة،

لَيْسَ خَوْفًا مِنْ ظُهُورِ الْمَلَائِكِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْ هَذِهِ الرِّسَالَةَ الَّتِي لَا تُصَدِّقُ. سَأُنْجِبُ ابْنًا! رُوجِعْتِي تَحْتَظَّتْ سِنَّ الْإِنْجَابِ! وَهِيَ عَاقِرٌ، إِلَى آخِرِهِ. فَاحْتَجَّ عَلَى كَلَامِ جِبْرَائِيلَ قَائِلًا: "لِكَيْ شَيْخٌ". أَتَدْرُونَ بِمِ أَجَابَهُ جِبْرَائِيلُ؟ أَجَابَ: "أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللَّهِ". مَا مَعْنَى ذَلِكَ؟ قَالَ جِبْرَائِيلُ: "أَنَا مَلَائِكٌ، أَيْ مَبْعُوثٌ مِنَ اللَّهِ. لَا تَقُلْ لِي إِنَّكَ شَيْخٌ. إِنْ كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّ سِنَّكَ يَعْنِي أَنَّ كَلَامِي، وَتَقْرِي، وَرِسَالَتِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ صَاحِبَةً، لِأَنَّكَ شَيْخٌ وَضَعِيفٌ وَهَسٌّ، وَرُوجِعْتِكَ تَحْتَظَّتْ سِنَّ الْإِنْجَابِ، فَفَكَّرْتُ يَا زَكَرِيَّا، فِي مَصْدَرِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ. أَنَا جِبْرَائِيلُ، وَجِئْتُكَ مِنْ مَحْضَرِ اللَّهِ". أَتَفْهَمُونَ مَا كَانَ يَقْصِدُ؟ "يَا زَكَرِيَّا، الرِّسَالَةُ الَّتِي أُسَلِّمُكَ عَلَيْهَا تَحْمِلُ أَفْصَى سُلْطَةٍ مُمَكِّنَةٍ". فَقَالَ زَكَرِيَّا: "أِه...". وَكَانَ هَذَا آخِرَ مَا نَطَقَ بِهِ طَوَالَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ. كَمَا تَعْرِفُونَ.

عِنْدَمَا نَتَنَاوَلُ مَسْأَلَةَ السُّلْطَةِ الْكِتَابِيَّةِ، يَقُولُ الْبَعْضُ "لِمَ يُزَعِّجُنَا هَذَا كَثِيرًا؟ أَلَيْسَ هَذَا الْجَدَلُ بِرُمَّتِهِ حَوْلَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مُجَرَّدَ زُوبَعَةٍ فِي فِنْجَانٍ؟" حَتَّى أَسْتَاذِي الْعَزِيزُ فِي الدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا فِي هُولَنْدَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ عَقْلِيَّةَ الْمَسِيحِيِّينَ الْأَمْرِيكِيِّينَ الَّذِينَ يَتَنَاوَرَعُونَ كَثِيرًا حَوْلَ عِصْمَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، أَوْ وَحْيِهِ، أَوْ خُلُوهِ مِنَ الْخَطَأِ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ سَبَبَ كُلِّ هَذِهِ الْجَلْبَةِ. وَأَتَذَكَّرُ أَيُّ تَنَاقُشْتُ مَعَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي مَنْزِلِهِ حَوْلَ ذَلِكَ. وَفِي رَأْيِهِ، إِنَّ الْعَقْلِيَّةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ، فِي هَذَا الْجَدَلِ حَوْلَ سُلْطَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، أَشْبَهُ بِلُغْبَةِ الشَّرْطَةِ وَاللُّصُوصِ، أَوْ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ. وَقَالَ إِنَّهُ يَرَى "إِنَّ قَلْبَ النَّاسِ بِشَأْنِ صِحَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مِنْ عَدَمِهَا هُوَ نَوْعٌ ضَارٌّ مِنَ السَّعْيِ أَوْ الرَّغْبَةِ الْفَلْسُفِيَّةِ فِي الْيَقِينِيَّةِ، وَهُوَ مَا يَضُرُّ بِالْإِيمَانِ". هَذَا التَّوَجُّهُ يُسْأَلُ: مَا الْفَارِقُ الَّذِي يُجَدِّدُهُ هَذَا؟ وَيَقُولُ إِنَّ عِصْمَتَهُ فِي كُلِّ مَا يَعْلَمُهُ مِنْ عَدَمِهَا هِيَ مَسْأَلَةُ إِيمَانٍ. وَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ نَتَحَلَّى بِبِقِيَمٍ مُطْلَقٍ.

بِقَدْرِ اخْتِلَافِي مَعَ رَأْيِ أَسْتَاذِي الْعَزِيزِ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، يَجِبُ أَنْ أَعْتَرِفَ بِأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدْعُو إِلَى ضَرُورَةِ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا مَصْدَرٌ تَارِيخِيٌّ مَعْصُومٌ عَنْ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ، أَوْ مَعْرِفَةٌ يَقِينِيَّةٌ عَنْهُ. يُمَكِّنُ أَنْ أَتَصَوَّرَ، نَظْرِيًّا، أَنَّهُ كَانَ بِإِمْكَانِ اللَّهِ تَخْطِيطَ قِصَّةِ حَيَاةِ يَسُوعَ، حَتَّى الصَّلِيبِ وَالْقِيَامَةِ، إِلَى آخِرِهِ، طَالِبًا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْبَشَرِ غَيْرِ الْمَعْصُومِينَ تَدْوِينَ تَقَارِيرِهِمْ عَنِ الْقِصَّةِ، فَيَرْتَكِبُونَ أخطاءً وَتَضَارِبَاتٍ وَتَنَاقُضَاتٍ طَفِيفَةً، مِنْ أَنْ لَآخَرَ، ثُمَّ مِنْ خِلَالِ إِيْمَانِنَا، نَفْحُصُ صِحَّةَ هَذِهِ التَّقَارِيرِ. فَإِنَّا لَا نَطَالِبُ هَيْرُودُوتَ، أَوْ تَاكِتُوسَ، أَوْ ثُوكِيدِيدِسَ، أَوْ كُسينُوفُونَ، أَوْ يُوسِيفُوسَ بِالْعِصْمَةِ، وَهُمْ يَقْدَمُونَ مُحْتَوَى بَعِيدًا تَمَامًا عَنِ الْعِصْمَةِ، وَنَعْلَمُ ذَلِكَ. وَلَسْنَا نَتَوَقَّعُ الْعِصْمَةَ مِنْ أَفْلَاطُونَ، أَوْ أَرِسْطُو، أَوْ إِيْمَانُويلَ كَانَتْ. وَمَعَ ذَلِكَ، يَحْظُونَ بِمِصْدَاقِيَّةٍ لَدَيْنَا، عِنْدَمَا نَقْتَبِعُ بِأَهْمِيَّةٍ مَا يَقُولُونَهُ.

إِذَا، لِمَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْطَبِقَ هَذَا عَلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ؟ وَلِمَ هَذَا الْهُوسُ بِشَأْنِ التَّأَكُّدِ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أخطاءٍ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ؟ أَتَفْهَمُ وَجْهَةَ نَظَرِهِ، بِاسْتِثْنَاءِ وُجُودِ أَمْرٍ وَاحِدٍ مُهِمٍّ، وَهُوَ مَا يَقُولُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنْ نَفْسِهِ.

فَإِذَا جَاءَنِي أَحَدُهُمْ وَقَالَ: "اسْمَعْنِي جَيِّدًا، لَسْتُ مُتَيَقِّنًا مِمَّا رَأَيْتُهُ الْأُسْبُوعَ الْمَاضِي. فِيهِ الْوَاقِعُ، أَشْكُ فِي عَيْنِي، لِأَنِّي لَمْ أَمْرٍ مِنْ قَبْلِ بَتَجْرِبَةٍ كَهَذِهِ. لَكِنَّ شَهَادَتِي الَّتِي سَأَدِلِي بِهَا فِي الْمَحْكَمَةِ، حَتَّى وَإِنْ لَمْ يُعْتَدَّ بِهَا، وَكُلُّ مَا أَتَذَكَّرُهُ، هُوَ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ قُتِلَ. فَقَدْ رَأَيْتُهُمْ يَطْعَنُونَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، وَيُنْزِلُونَ جَسَدَهُ، وَيُكَفِّنُونَ الْجَسَدَ لِدَفْنِهِ. وَرَأَيْتُهُمْ يَصْعُقُونَ الْجَسَدَ فِي قَبْرِ. أَعْلَمُ أَنَّكُمْ سَتُظَنُّونَ أَنِّي فَقَدْتُ صَوَائِي، لَكِنَّ الْيَوْمَ الْفَائِتِ، سَمِعْتُ الْبَعْضَ يَقُولُونَ إِنَّهُ غَادَرَ ذَلِكَ الْقَبْرِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَرَأَهُ حَمْسَمَائَةِ شَخِصٍ، وَأَجَلَ، رَأَيْتُهُ بِالْأَمْسِ بَعِينِي". لَوْ كَانَ هَذَا هُوَ كُلُّ مَا لَدَيْنَا، لَرَغِبْتُ مَعَ ذَلِكَ فِي سَمَاعِ الْمَزِيدِ. فَرَبَّمَا يَكُونُ الرَّجُلُ صَادِقًا، وَرَبَّمَا يَكُونُ مَصْدَرًا يُمَكِّنُ تَصْدِيقَهُ، مَعَ أَنَّ رِسَالَتَهُ بَعِيدَةٌ تَمَامًا عَنِ التَّصْدِيقِ، لِأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَنِ مُعْجَزَةِ الْمُعْجَزَاتِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَيُّ عَن عَوْدَةٍ أَحَدِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ.

لَكِنَّ لِنَفْتَرِضَ، فِي الْمُقَابِلِ، أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ جَاءَ إِلَيَّ قَائِلًا: "سَأَدُونُ هَذَا التَّفْصِيرَ، وَأَكْتُبُ هَذَا قَائِلًا إِنَّ هَذِهِ هِيَ كَلِمَةُ اللَّهِ". ثُمَّ وَجَدْتُ أَنَّ هَذَا الشَّاهِدَ الَّذِي شَهِدَ عَن أَهَمِّ حَدَثٍ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِ ارْتَكَبَ أخطاءً، عَدِيمَةَ الْأَهْمِيَّةِ وَتَافِهَةً، أخطاءً تَارِيخِيَّةً أَوْ مَعْلُومَاتِيَّةً، فَمَاذَا سَيَحْدُثُ لِثِقَتِنَا فِي ادِّعَائِهِ التَّكَلَّمَ بِسُلْطَانِ اللَّهِ؟ أَتَوَقَّعُ حَقًّا أَنْ يَرْتَكِبَ الْبَشَرُ أخطاءً، لَكِنَّنِي لَسْتُ أَتَوَقَّعُ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ! وَإِذَا كَانَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ يَدَّعِي أَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَهُوَ لَيْسَ كَلِمَةُ اللَّهِ، يُمَكِّنُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَظَلَّ صَاحِبًا بِوَجْهِ عَامٍّ، لَكِنَّ هَذَا الْادِّعَاءَ، عَلَى الْأَقْلَى، سَيَتَبَيَّنُ أَنَّهُ كَاذِبٌ.

يَجِبُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِأَنِّي مِنْ مِيزُورِي. وَلَنْ أُكْرَسَ حَيَاتِي لِعِبَادَةِ أَوْ خِدْمَةِ رَجُلٍ كُلِّ مَا أَعْرِفُهُ عَنهُ يَأْتِي مِنْ مَصْدَرٍ تَبْرَهَنَ أَنَّ بِهِ أخطاءً. فَسَيَكُونُ عَلَيَّ أَنْ أَتَجَاهَلَ عَقْلِي، كَيْ أُسَلِّمَ حَيَاتِي لِيَسُوعَ، بَيْنَمَا الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي أَعْرِفُهُ عَنهُ نَابِعٌ مِنْ هَذَا السِّجْلِ الْكِتَابِيِّ. وَلَوْ كَانَ كُتَّابُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الَّذِينَ أَخْبَرُونِي بِقِصَّةِ يَسُوعَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ قَدَّمُوا لِي كَلِمَةَ اللَّهِ، وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ هِيَ كَلِمَةُ اللَّهِ، فَبِيسَاطَةٍ لَنْ أَصْغِيَ إِلَيْهَا. الْأَمْرُ بَسِيطٌ.

دَعُونِي أَكُونُ وَاضِحًا بِشَأْنِ أَمْرٍ مَا. فِي رَأْيِي، مُجَرَّدُ ادِّعَاءِ كِتَابٍ مَا بِأَنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ، لَا يَجْعَلُ مِنْهُ كَلِمَةَ اللَّهِ. فَيُمَكِّنُنِي أَنْ أُؤَلِّفَ كِتَابًا وَأَقُولَ: "هَذَا كَلَامُ اللَّهِ". سَتَعْلَمُونَ عَلَى الْفُورِ أَنَّهُ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ، لِأَنَّكُمْ تَعْرِفُونَنِي. وَأَرْجُو أَنْ يُدْرِكَ أَيُّ شَخِصٍ عَلَى الْفُورِ أَنَّهُ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ. لَكِنَّ، كَمَّ سَيَكْلِفُنِي الْأَمْرُ، وَمَا مَدَى صُعُوبَةِ قَوْلِي: "هَذَا كَلَامُ اللَّهِ؟" أَيُّ شَخِصٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَدَّعِي ذَلِكَ؟ وَقَوْلُ ذَلِكَ لَا يَجْعَلُهُ صَاحِبًا. لَكِنَّ أَتَفْهَمُونَ مَا يَكُونُ عَلَى الْمِحَاكِّ عِنْدَمَا يَدَّعِي أَحَدُهُمْ ذَلِكَ؟ وَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ يَقُولُ هَذَا عَن نَفْسِهِ. وَهَذَا مَا أَوْدُ أَنْ نَرَاهُ فِي إِجْجَارِ هَذَا الْمَسَاءِ.

لِنَنْظُرْ، بِالتَّأَكِيدِ، إِلَى أَشْهَرِ مَقْطَعٍ، الَّذِي يَرِدُ فِي رِسَالَةِ تِيمُونَاوَسِ الثَّانِيَّةِ، حَيْثُ كَتَبَ بُولُسُ إِلَى ابْنِهِ الْحَبِيبِ فِي الْإِيمَانِ. وَعَلَى الْأَرْجَحِ، كَانَ هَذَا فِي آخِرِ أَيَّامِ بُولُسِ. وَكَلَّفَ تِيمُونَاوَسُ بِمَسْئُولِيَّاتٍ مُقَدَّسَةٍ، إِلَى آخِرِهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ فِي ٢ تِيمُونَاوَسِ ٣: ١٣: "وَلَكِنَّ النَّاسَ الْأَشْرَارَ الْمُرُورِينَ سَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَرْدَاءِ، مُضِلِّينَ وَمُضَلَّلِينَ". مِنَ اللَّافِتِ أَنَّهُ فِي الْعَهْدِ

الجديد، تضليل الآخرين، أي خداعهم، يوصف هنا بأنه من سمات الأشرار. أعلم أن كلمة "شراير" صارت عتيقة الطراز في مفرداتنا الحديثة. فنحن لا نقول عادة: "هذا الفتى شراير". هذا الشخص شراير. هذه المرأة شرايرة". ربما نقول إنهم فاسدون، أو ما شابه ذلك. "الناس الأشرار". لم يخش العهد الجديد من قول ذلك. ويقول: "هم أشرار لأنهم يضلون".

ما هو التضليل؟ التضليل، أيها الأحباء، هو تحريف الحق. الشيء الوحيد الذي يُحيرني كل يوم من أيام حياتي، كلاهوتي، هو مدى استخفاف العالم المسيحي بالحق. لكن العهد الجديد يولي أهمية كبرى للصدق. وهنا، بينما كان بولس يُسلم الراية، إن جاز التعبير، لتيموثاوس، قال: "احذر، فالتاس الأشرار الموزرون سيتقدمون إلى أزداء، مضلين ومضلين. وأما أنت فأثبت على ما تعلمت وأيقنت، عارفاً ممن تعلمت".

عندما كنت طفلاً، كنت أفع أحياناً ضحية إهانة قاسية. مررنا جميعاً بسنوات المراهقة المؤلمة. وعندما نبتت لي أسنان البلوغ، نبتت موجة. فابتدأ الأ ولاد يدعوني "ذا الأسنان الموجهة"، و"ذا الأسنان النابتة"، وكان هذا يؤلمني. أتذكر أنني عدت إلى المنزل باكياً، فسألني أمي: "لم تبكي؟" أجبتها: "لأن فلانا دعاني ذا الأسنان النابتة". وكان علاج أمي لكل هذه الإهانات، في طفولتي، هو جملة كانت تُرددها بلا توقف: "يا بُني، فكر في مصدر الكلام". لم أفهم حتى معنى هذه الكلمات: "فكر في مصدر الكلام"، ماذا كانت تقصد بقولها: "فكر في المصدر؟" كانت تقصد: "قبل أن يؤلمك ما يقوله أحدكم، فكر في هويته قائله". وهذا ما فعلته طوال حياتي. يوجه لي البعض انتقادات، والبعض، حين ينتقدوني، أصغي بكل كياني، لأسمع كل كلمة من قدهم. فإني أقدر رأيهم. وقد ينتقدني آخرون دون توقف، فلا أعيرهم أدنى انتباه، لأنهم لا يتمتعون بمصداقية لدي. هذه حالنا جميعاً، فإنا نفكر في مصدر الكلام.

ويقول بولس: "يا تيموثاوس، أوصيك بأن تثبت على تلك الأمور التي تعلمتها وأيقنتها، وأن تتذكر من أين تعلمتها، ومن سمعتها". ربما يشير بولس ببساطة إلى مصدر جدته. لكني أعتقد أن الأمر يتعدى ذلك. فقد قال: "أنتك منذ الطفولة تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع". ثم نقرأ هذا التصريح الشهير في ٢ تيموثاوس ٣: ١٦: "كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملاً، متأهباً لكل عمل صالح".

كل الكتاب، أي كل "الجرافي"، وهو ما لا يمكن أن يشير بحسب السياق سوى إلى كتاب واحد. المعنى الحرفي هو: كل الكتابات. لكن هذا مصطلح تقني. وفي تلك الفترة، لا يمكن أن يشير هذا سوى إلى الأسفار المقدسة. وبالطبع، كان تركيز بولس الرئيسي هنا على العهد القديم، مع أن اللفظ "جرافي" لا يستبعد بالضرورة الكتابات التي

كَانَتْ تَتَكَوَّنُ آنَ ذَاكَ، أَيِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. فَنَحْنُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، تَكَلَّمْنَا أَحَدَ الرُّسُلِ عَنِ كِتَابَاتِ رُسُولِ آخَرَ، وَصَمَّمْنَا إِلَى "الْجُرَافِي"، أَيِ بَاقِي الْكُتُبِ: "كِبَائِي الْكُتُبِ أَيْضًا". إِذَا، حَتَّى الرُّسُلُ أَنْفُسُهُمْ أَفَرُّوا بِانْتِمَاءِ كِتَابَاتِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا إِلَى "الْجُرَافِي"، أَيِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

الفِكرَةُ الَّتِي يَظَرِّحُهَا بُولُسُ هُنَا هِيَ أَنَّ كُلَّ "الْجُرَافِي" هُوَ "ثِيوبِنُوسْت" (*theopneustos*)، فِي الْيُونَانِيَّةِ. تُرْجِمَتِ الْكَلِمَةُ إِلَى "مُوَحَّى بِهِ مِنَ اللَّهِ". صِدْقًا، أَيُّهَا السَّيِّدَاتُ وَالسَّادَةُ، لَا تُعْجِبُنِي هَذِهِ التَّرْجُمَةُ. وَلَمْ تُعْجِبْنِي قَطُّ. كَتَبَ الرَّاحِلُ بِنْجَامِينُ وَارْفِيلْدُ مَقَالًا رَائِعًا عَنِ كَلِمَةِ "ثِيوبِنُوسْت"، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى الْحَرْفِيَّ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْيُونَانِيَّةِ هُوَ "اللَّهُ تَنَفَّسَ".

إِلَيْكُمْ فِكْرَةٌ آخِرَةٌ، فِي بَطْرُسِ الثَّانِيَّةِ، الْأَصْحَاحِ ١، نَقْرَأُ: "لَأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ بَلْ تَكَلَّمَ أَنَا مِنَ اللَّهِ الْقَدِيدُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ". فَأَصْلُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ هُوَ اللَّهُ، وَعِنَايَتُهُ، وَفِي هَذَا تَكْمُنُ سُلْطَةُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَبْرُولُ هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خِدْمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رِعَاةِ كَنِيسَةِ الْقَدِيدِيسِ أُنْدُرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلْإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُنَّا لَاهُوتِيُونَ" و"أَدَهْسِنِي الْأَلَمُ".